أحبك و لكن..!

آمال عريف / الجزائر

اسندت رأسها الى الحائط وهي تحتضن وسادتها بزاوية غرفتها المظلمة أين وضعت مسكنات الألم ، على عتبة أحلامها المدثورة جلست تراقب سقوطها من أعلى التل إلى سحيق الهاوية لتعلو زفرات تصدر من عمق صدر الوجع توحي بذلك الضجيج الذي يوشك أن يفجر عروق الذاكرة جاعلا القلب متمايلا ، يرقص يمنة ويسرة على معزوفة الرحيل والهجران فينسدل ستار النافذة ليخفي آخر أشعة القمر لهذه الليلة ليسودها الظلام ويطغى ، لازال ذلك الصمت الثقيل يصاحبها كلما ودت الاستلقاء ليترجم عن سبب تلك الهالات السوداء التي تحوط بأسفل عينيها ككحل يطوق أهداب ستينية حكيمة خبرت من هذه الحياة كفايتها، هنا يبدأ ذلك العبق يتراشق بذاكرتها لتتجرع آخر قطرة من كأس الحنين معلنة صمودها بتلك الابتسامة المنكسرة.

نعم إنها أنا ، أحاول جاهدة أن أبتسم لقلبي الخائن الذي فقدته في مكان ما ، يوم كنت أتخذ من ازقة الليل دروبا للعبور إليك ، خذلني هذا القلب اللعين ليغدوا كفصوص الطوق المتناثر معلقا على أعتاب الأماني المسبقة بخيبات الأمل الموجعة ، لازلت كما عهدتني

أنسج لك من حلج الشمس كوفية ذهبية لتطغى على لمعتك تلك المعلقة بين الرموش والعيون ، أقايض عطرك ليزورني كلما اشتقت لك لتنسحب الروح مني إليك وأسقط في هواك للمرة السابعة والعشرين ، جاعلة بذلك البحر باسما رغما عنه متراقصة أمواجه على

أوتار الخمائل فتشتغل الشموع وتضاء الروح حتى آخر زاوية بها...يمر شريط الذاكرة المنهكة سريعا مستدعيا هطول تلك المدامع التي تحضر بخجل مفاجيء معلنة تضامنها ونشيج الموقف ، مغتسلة الذاكرة بهذا الدمع الهاطل بغزارة الشوق والحنين لِتُحْبَسَ تللك التأوهات الى ما بعد ربيع الألم..!

بسماتي المصطنعة تلك حتى هي باتت ميتة مصلوبة على عتبات الغياب لترسل تراتيل

الابتهالات الضريرة على ذلك الضريح فتهتريء الأعصاب معلنة انتشائها من استنشاق عبير البؤس الذي يحوم بالأرجاء ليدخل الروح نفسها في عتمة سرداب دامسة تشتهي موتا ينجيها ويغلق عليها الباب وراء الباب وراء الباب، لازالت صامتة تكتم ما في داخلها إلا أن كل ذلك السواد طغى عليها هذه الليلة ليترجم نفسه على هيئة صداع لعين يتلاعب بأوتار الذاكرة كعازف لمقطوعة موسيقية مبتذلة صاخبة ، تسارعت الأنفاس كأنها تسابق الوقت في تتالي ثوانيه ليختلج الجسد رعشة قلبها الوتين تسري حتى أخمص قدماي لتسقطني أرضا من غير القدرة على النبس ببنت شفة ، كل ما شعرت به أن الوقت

المكنون بين الشـهيق والزفير طويل جدا...هدوء وصـمت يعبثان ببقايا الروح الصـدأة فمن أين لي بعلاج لصفعات الروح القاتلة.

بينما رذاذ الذكرى يمطر علي ليعيد لذاكرتي المنهكة بعض الوعي ، جمع الليل ســـواده ليفارقني هو الآخر وانا في طريق العودة من وعكة الروح هذه معلنا المراسم الاخيرة لرثاء ضلعي الأيسر الذي جزته الحياة ودفنته من غير عزاء في إحدى دهاليزها الضـــيقة تحت هذه الأرض البور ، هنا أتيقن ان الوقت كان ولايزال خدعة تغريني بعروض السـراب وبالجنة الخفية التي تزورني ليلا كسـفينة مهجورة تقودها الأشباح تحط رحالها بإحدى شطآني السبعة في كل خروج لها من المرسـى . لازلت أسـهب في الحديث مع ذلك السـراب عله ينتشـلني من بين تشـققات العمر ليحيي أملي المبتور هناك على حشـرجة مواويل الفراق الكئيبة و قارعة جفن ينم عن دمع تحجر أســـفلها ، تعبت الروح فيني لتكتم كل ما تبوح به معالم الملامح المهترئة.

منتصـــف الليل وبعد ، جزيئات الســـعادة التي كنت أملكها اختفت لتغدو روحي معراة من كل ما له علاقة بالفرح ومعانيه ، ثقوب بهذا القلب العليل حتى غدى نايا حزينا كل ألحانه بداء اليأس تُعاب لأجد نفسي أعتذر لروحي لأول مرة نيابة عن كل شيء قتلها وجعلها جثة حية تختنق ببطء شديد ، أجد نفسي غير كل البشر كل يوم أتنفس فيه تزداد حالتي سوءا تلك الذكريات التي كانت سابقا تشحذ همتي وتضيء عتمة الروح كإشراق الشمس أصبحت نفسها حارقة للأمل وكل ما يجاوره من مشاعر لتكون السبب في ذبول وجهي الفاتن..!

تخالطني نسـمة باردة مع غيوم من دخان ، ضـوء خافت يشـعرني براحة ممزوجة بالحنين إلى دفتري والقلم ككقارب جذبه البحر للقاع المرجاني ، نور يداعب عتمتي تلك لتتســاقط كل الأوراق دفعة واحدة ، أنتظر جاهدة تفكيك ملامحي المتلاصقة...أهلكت هذا العمر وأنا أقارع كئوسا فارغة ! لماذا..؟

في الأخير لأموت عطشـــا ، لازلت لا أمتلك فن الرد في كل موقف ، فقط حين أختنق بظلمه لي ألوح للسـماء لأجد الحرف يتراقص على الورق فيتعدل مزاجي وتزهر الروح وتمطر السـماء ياسـمينا لأنتبه إلى الأزقة الملتوية التي أضـحت مستقيمة أثناء عودتي فأسارع لعناق روحي كما تعانق الألحان الأصيلة أوتار العود ، صدقني عقيم هو الحرف الذي لم ينجب منك قصيدة.

يلتف حول يراعي القصـــور لتكتســـي حروفي بك ، ما زالت الكتابة لك...عنك وبســـببك ، في هكذا لحظات أمارس عادتي السيئة بالكتابة لتعتزل الحروف وتتخلى عن فرحها فقط لتشاركني حزني ،لازالت بسمة تتمرد و تتفرد بالكتابة وحروفها تتقن الحرفتين.!